

"مرّوا من هنا" لفادي توفيق الصندوق الأسود للجماعات

وتقنية، عند التخوم المستحدثة لفنون تنوطن دنيا شباب نشأ وترعرع وسط اندماج التكنولوجيا الجديدة دوماً في مداميك شخصيته. الكومبيوتر أداة ومحور للذين، مثل فادي توفيق، يشكلون نصوصهم على ايقاعين أهمهما البصري والثاني يكمله وهو من طينة ادبية. لا يكتب فادي توفيق نصاً بليغاً، فمراده آخر. للنص هنا شكل بصري ذو حضور فاعل في الصورة الفوتوغرافية المستمدة وجودها من احد جدران المدينة، واذ يستعين به صاحب العرض فلدوره التشكيلي المعروف (الخط العربي في شكله الشعبي والطباعي)، وللقدرات الزخرفية المقرونة به

تاريخاً. لا ينجز عملاً سياسياً فادي توفيق، وهو يختصر علاقته بالايديولوجيات بعبارة بسيطة: "انا مع الحرية". يقول للذي يسأله عما دفعه الى عرض من الصعب تحريره من ان يكون مع هذا وضد ذلك، كالنوافذ، وعلى مجالات عيش غير السياسية، حال الرياضة مثلاً، او نداء العشاق، او الزبالة... الخ.

كيفما اقتربت من "مرّوا من هنا"، فأنت كالذي على شاطئ بحر إن دخل غرق. كل ملصق يجبر الزائر الى ملصق، الى ان يدور أكثر من مرة في عنبر يحوي من عناصر التشويق ما يصعب تلبيته بجولة واحدة وكفى، وخصوصاً أن منظمي المعرض اضافوا اليه في أماكن عدة على

الجدران اوراقاً بيضاء في جوارها "مرشحات الوان" في متناول من يرغب في تدوين تعليق مباشر على ما وقع عليه خلال زيارته. كأرج فادي توفيق واصدقائه في مجمع "امم" بوجهون الدعوة الى زوار هنغارهم لاطلاق رأي قد يضيفونه ربما، الى كتاب يصدر بعد انتهاء المعرض، من الاتحاد الاوروبي بالتعاون مع اصوات اوروبية والجامعة الاميركية في بيروت. "انا محكوم بالصورة"، يعلن فادي توفيق حين يتكلم عن عمله، ويبدل في الوقت عينه على الشعارات على جدران المدينة بأنها تؤلف مجتمعة "الصندوق الاسود للجماعات".

نزيه خاطر

(*) يفتتح المعرض عند الساعة السادسة من مساء اليوم في "الهنغار"، حارة حريك.

اليوم. ويشير فادي توفيق (من مواليد بيروت 1970) الى انه ركز اهتمامه على المجريات التي بعد الحرب، او أنه أراد للجدران ان تروي هي ماذا حصل بين عامي 1990 و2005، وان تحكي حكاياتها بلغتها الشعبية اذا جاز القول، مع اشارته الصريحة الى عدم انخداعه هو، بالمظهر العفوي للشعارات على الجدران. فهي تشي، عند تخطي سطوحها، بذلك من يمثل وراءها. لذا فهي جزء من ادوات الصراعات في مدينة لم تخرج نهائياً بعد من حروبها. واذاً تزيّناً "مرّوا من هنا" بطابع فن الملصق، غير انه ينتمي، نظراً الى منطق تأليفه وادوات بنائه وعناصر تركيبه، الى تيار

بها المصمم الشاب فادي توفيق "تأليفه البصرية الثلاثة والعشرين" كما يقول في كل مرة يأتي ذكره لها. والى المئة والخمسين صورة الموظفة في بنية تأليفه هذه؛ يضيف توفيق استكمالاً لها نوعين من التعليقات، نصاً سردياً مباشراً يعرّف به محتوى الملصق المنحاز في معظم موجوداته الى الاجواء السياسية كما الاجتماعية المسيطرة على الناس والبلد، ونصاً للمصمم نفسه على شكل مداخلة شخصية مشرّبة بسخرية نقدية ملطّفة. وهذا يضيف على كل من الثلاثة والعشرين ملصقاً/ او تأليفاً بصرياً بحسب فادي توفيق، طابعا غير بعيد عمّا

"يا بري أدركنا": "من يجرّ على الاعتراض!؟"



قل لي اين تسكن أقل لك من أي طائفة أنت.

"الأسود في لبنان والأرانب في الجولان".

"مرّوا من هنا": هو مبدئياً، من حيث الشكل والتنظيم، يطل كعرض بثلاثة وعشرين عملاً على جدران "هنغار"، في محلة حارة حريك، قرب مسجد المهدي. وهو، من حيث المحتوى، يقوم على مزج غير أليف لعناصر، كالكتابة على الحيطان والأسوجة والفن الفوتوغرافي وتوظيف الوثائق القديمة والمفيدة وازافة التعليقات الممهورة بامضاء فادي توفيق، صاحب الفكرة ومنفذها. وهو، من حيث الاثر الذي يتركه في الشخص الذي يطلع على بنيته والتفاصيل، يتشكل في

زائره كالمدخل الى ذاكرة مجتمع ومدينة - المدينة تختصر هنا البلد - او بكلام اكثر دقة كمدخل "الى ذاكرة الامس من على جدران اليوم"، بحسب فادي توفيق.

لذا كان اختيار "مرّوا من هنا، سياحة بيروت" عنواناً، وكانت الاشارة الى "تأليف بصري ونصوص" تحديداً لطبيعة محاولة جريئة تتبني الذهاب بما بين يديها من مواد مغايرة وادوات تعبير "متميزة" الى بناء ذي ركيزة تركيبية، ينحو في الوقت عينه الى التوحد العضوي. وعلى هذه الصورة يتلقفه الزائر الذي يجد نفسه عملياً أمام معلقات على جدران فناء فسيح، "الهنغار"، تتزييا بملامح الملصقات، ويجوز التعامل معها من هذا المنطلق. تبدو لزيّرها امتداداً طبيعياً لما قد يكون نظره وقع عليه خطفاً على حيطان بعض البناءات وهو في طريقه الى عنوان معرض سيتم افتتاحه بعد ساعات من الآن، اي في السادسة من مساء اليوم في الغبيرة - حارك حريك، في "هنغار - امم" قرب جامع المهدي.

الصلات أعمق مما هي جلية ومباشرة بين الملصقات الثلاثة والعشرين في "الهنغار"، والشعارات على جدران المدينة. وقد لزمتم حملتان لتصوير الثمانمئة وخمسين لقطة فوتوغرافية التي انتقى فادي توفيق من بينها المئة والخمسين رقماً لصنع ملصقاته. وانجز الفوتوغراف سونوا هوغبول الحملة الاولى عام 2002، اما الثانية التي جرت سنة 2005، فبعدها حسام مشيمش. المصوران يشتركان وإن جزئياً في تحضير المادة الخام التي سيبني



ملصق المعرض.

قد نفع عليه في كل كتابة ذات نزوع سياسي. من هذه الزاوية يطل معرض "مرّوا من هنا" كمختصر مفيد لحال مدينة مصابة بالسياسة الى أبعد من عصب ضميرها. ولا يتقنع فادي توفيق بالعموميات للافلات من طوق واقع متفش في الناس قبل انفلاسه على جدران مدينتهم، لكنه، وبخفر من يرغب في الوقوف على مسافة من مضامين موضوعه، يختار المواجهة العاربية مع تفرقته الذكية بين ما هو للمدينة وما هو له، متعاملاً بعين مثقفة سياسياً، ومن دون انحياز او تضاد، مع كتابات على حيطان زواريب وشوارع واحياء كأنها من صنع حاضر وإن يكن تاريخها غارقاً في تجاعيد الذاكرة. أثر العمر ظاهر من خلال ما يرافق بعض الشعارات من امحاء لحروفها تحت مفاعيل العناصر الطبيعية. الغريب ان القديم من هذه الشعارات يبدو من خلال ما فيه من معنى كأنه من